الاتحاد من اجل المتوسط وتداعياته على مستقبل الامة العربية

الاستاذ

الدكتور

ناظم عبد الواحد

الجاسور(*)

المقدمة

شكل مشروع "الاتحاد من اجل المتوسط" حلقة، ولن تكون الاخيرة بالتأكيد، من بين حلقات السلسلة الطويلة من المشاريع المضادة، والتي هدفت الى احتواء الامة العربية وتفتيتها الى مناطق جغرافية معزولة الواحدة عن الاخرى، بغية افراغها من محتواها الوطني والقومي والاستفراد بكل مجموعة على حدة" وشدها الى محاور وتجاذبات خارجية: تارة أمنية، مثل اتفاقيات حلف الناتو مع عدد من دول الخليج العربي، وشمال افريقيا (حوار المتوسط وفي اطار مبادرة اسطنبول)، وتارة تحت غطاء سياسي–اقتصادي، مثل الشرق–اوسطية، والاور–متوسطية، وسياسة الجوار الاوروبية، وحوار دول ((+ (الذي انطلق عام)(*)، ومنتدى المتوسط الذي انطلق عام ، والشراكة الأمريكية–المغاربية التي انطلقت في صيف عام والشراكة الاوروبية–الخليجية، ومشروع الشرق الاوسط الكبير، وغيرها من المشاريع الاخرى التي لا تعد ولا تحصى .

واذا كان هذا المشروع قد طرح لتلافي "اخطاء مسار برشلونة" على حد تعبير الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي ، الا انه ، ومن خلال وثيقة اعلانه التي صدرت، بعد قمة باريس التي ضمت " رئيس دولة وحكومة في تموز – يوليو

(*)عميد كلية العلوم السياسية- الجامعة المستنصرية.

(*)الدول الاعضاء في حوار دول ٥+ ٥ هي: اسبانيا، فرنسا، ايطاليا، مالطا، البرتغال، وخمس دول من الجنوب هي: الجزائر، ليبيا، المغرب، موريتانيا، وتونس.

[1] للمزيد من من الاطلاع عن هذه المشاريع وبشكل مفصل ينظر: ناظم عبدالواحد الجاسور "تأثير الخلافات الأمريكية–الاوروبية على قضايا الامة العربية: حقبة ما بعد نهاية الحرب الباردة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧، الفصل الخامس ص ص ١٥٥– ٢٠٤.

تتكون من مقدمة و فقرة وملحقا[2] لم يخرج بعيدا في مضمونه، واهدافه السياسية والامنية والاقتصادية عن تلك المشاريع الاخرى التي سبقته، حتى ان هناك من الدول التي نظرت اليه بانه "حاجة" فرنسية خاصة لحل قضايا الهجرة غير الشرعية والتنسيق الامني في محاربة ((التطرف الاسلامي))، حيث التهديد الذي فرضه تنظيم القاعدة في المغرب العربي، اضافة الى الحسابات الجيو–ستراتيجية التي اخذتها باريس بنظر اعتبارها، وخصوصا، سعي فرنسا الدؤوب لاستعادة دورها في الساحة الدولية، ولاسيما تجاه قضايا وازمات الشرق الاوسط، حيث كان "الفيتو" الامريكي على كل جهد دبلوماسي وسياسي فرنسي يحاول منافسة النفوذ، او الدور الامريكي في المنطقة.

ومن هنا، فان محاولة البحث في تداعيات "الاتحاد من اجل المتوسط" على المشروع الوحدوي العربي، تقتضي الانطلاق في تتبع مسارات هذا المشروع، والدوافع السياسية، الامنية والاقتصادية التي دفعت بالرئيس الفرنسي ساركوزي الى طرحه "كخيار استراتيجي" للسياسة الخارجية الفرنسية، ومن ثم تحليل مضمونه واهدافه، ومواقف الدول المشاركة، وبالتحديد انعكاسات انضمام اسرائيل لهذا الاتحاد على مستقبل الصراع العربي–الصهيوني وعملية التطبيع التي تبنتها بعض الانظمة العربية، والاشارة الى الصعوبات والتحديات التي تواجه هذا المشروع على ارض الواقع المتوسطي المعقد، مع التأكيد على تأثيراته السلبية والمقوضة لمرتكزات المشروع الحضاري القومي العربي وآفاقه المستقبلية.

اولا: الهندسة الجيو–سياسية للمشروع المتوسطي

في الواقع، لقد غدا المتوسط في السنوات الاخيرة من القرن العشرين، وكذلك في مطلع الالفية الثالثة، مسرحا لاطلاق العديد من المشاريع والمبادرات، والحوارات، والمنتديات. وبقدر ما ان المتوسط نفسه كان مقبرة لكل الامبراطوريات، والمنافسات الاستعمارية، فقد غرقت في اعماق مياهه كل هذه المشاريع حتى مشروع الاورو–

[2] **"الاتحاد من اجل المتوسط" يبني "مستقبلا مشتركا" للدول المشاركة بالاجتماع، صحيفة الشرق الاوسط العدد ١٠٨١٦ في ٩ تموز–يوليو ٢٠٠٨، ص ٦. وان الدول الاعضاء في مشروع الاتحاد من اجل المتوسط هي: ألبانيا، الجزائر، النمسا، بلجيكا، البوسنه والهرسك، بلغاريا، كرواتيا، قبرص، جمهورية التشيك، الدنمارك، مصر، استونيا، فنلنده، فرنسا، المانيا، اليونان، المجر، ايرلندا، "إسرائيل"، ايطاليا، الاردن، لاتيفيا، لبنان، ليتوانيا، لوكسمبورغ، مالطا، موريتانيا، المغرب، هولندا، فلسطين، بولندا، البرتغال، رومانيا، سلوفاكيا، سلوفينيا، اسبانيا، السويد، سوريا، تونس، تركيا، بريطانيا.**

متوسطية الذي انطلق في برشلونة نهاية عام ، واحتفل بسنواته العشر عام في ظل غياب عربي، واجه الفشل الكبير، ولم يعد المتوسط بحيرة سلام واستقرار، كما كان سابقا بل تحول الى منطقة اضطراب وتوتر، وكان اشدها العدوان الاسرائيلي على لبنان صيف عام ، وتجويع ومحاصرة الشعب الفلسطيني في غزة، وتزايد معدلات الهجرة غير الشرعية بعد ان تبخرت وعود التنمية والاستثمار وتصاعد موجات التطرف الديني بكل صوره، حيث ان افواج العاطلين عن العمل شكلت في حد ذاتها وقودا لتصاعد موجات هذا التطرف، ناهيك عن سياسات القمع والاضطهاد التي تمارسها الانظمة السياسية لدول المنطقة والتي تحظى بدعم الدول الغربية، وتجاهلها عن مصادرة حقوق الانسان والديمقراطية.

واذا كان هذا الحوض يحتضن بين ضفافه ثقافات متعددة (مليون انسان)، وخارطة محفورة بالصراعات المزمنة) فانه بالمقابل يرسم هندسة جيو–سياسية بأخطر الممرات العالمية الناقلة للطاقة البترولية وما تنتجه المصانع الغربية من بضائع ومعدات، حيث تعبر جبل طارق يوميا حوالي باخرة، ناهيك عن ممر البسفور في الخاصرة الشرقية وقناة السويس في الضفة الجنوبية، تشكل كلها مثلث استراتيجي اخذته بنظر الاعتبار كل القوى الكبرى الطامحة للنفوذ والهيمنة. ووفقا لهذه الصورة حيث التنافر والنزاعات المستمرة، والمنافسة الكامنة بين القوى الاقليمية نفسها على الاسواق ومصادر الطاقة، يأتي طرح هذا المشروع، الذي حاول من خلاله الرئيس ساركوزي و"برؤيته الجديدة" ان يجعل من حوض المتوسط "بحيرة سلام وديمقراطية وازدهار... وزيادة قدرات الاندماج والانسجام الاقليميين" [3]. وقد كان الرئيس الفرنسي وخلال جولاته "التبشيرية" لهذا المشروع في عدد من دول الضفة الجنوبية للمتوسط حزيران ، قد اكد بان "مشروع الاتحاد من اجل المتوسط سيغير العالم، وان مسار برشلونة كان مسارا خاطئا ، وان وحدة المتوسط لا تبنى بالعنف والقوة بل بالتفاهم والاحترام والتعاون " [4].

ولكن المتتبع للمشاريع السابقة كلها، بدون استثناء، يلاحظ من القراءة الاولى لاهدافها واعلاناتها بأنها لا تشذ او تبتعد عن العبارات التي ساقها الرئيس الفرنسي

---

[3] **المصدر نفسه، ص ٦.**

[4] **نواب مغاربة يبحثون مشروع الاتحاد من اجل المتوسط ،الرابط الالكتروني:**
http://www.adnkroinos.com/ak1/arabic/politics?id=1.02101234070

ساركوز ، ما عدا ان هذا المشروع اتبع منهجية سياسية وسلوك دبلوماسي تبناه ساركوزي شخصيا وبنفسه في تناوله مع كل قادة دول المنطقة التي زارها وانه لم يعد مشروعا لفضاء متوسطي، وانما رسم من خلال هندسته الجيو–سياسية ليكون فضاء اوسع من ذلك ويتجاوز المنطقة الجغرافية المحددة له، واضعا في اعتباره ومن خلال "رؤية اوروبية متوسطية" بان السنوات القادمة ستحمل في طياتها منافسات مع قوى دولية واقليمية جديدة، الامر الذي يتطلب ربط الاقاليم المحيطة بالجوار الاوروبي بمشاريع ومبادرات من شأنها المحافظة على الدور الاوروبي كلاعب دولي في الشؤون الدولية، ومن ثم جعلها اسواقها مستوعبة للصادرات الاوروبية، ومناطق "آمنة" للاستثمار، حيث ان هذه الضفة الجنوبية تحولت الى منطقة جذب للاستثمارات الصينية والهندية اضافة الى الأمريكية، وبعد ان استحوذت المانيا الاتحادية على اوروبا الشرقية".

وإذا كانت فرنسا تسعى على الدوام الى الاحتفاظ بمنطقة نفوذها التقليدية التي شهدت في العقدين الاخيريين منافسة شديدة من الولايات المتحدة التي استطاعت احتواء الضفة الجنوبية من المتوسط تحت مظلتها العسكرية والامنية (حوار المتوسط للناتو)، ومن خلال الشراكة الأمريكية–المغاربية (مشروع ايزنستات)
فأن الرئيس ساركوزي ادرك اللعبة الدولية، بعد اربعة عقود من التناطح ضد الولايات المتحدة ، وانزل فرنسا من حصان المواجهة والممانعة للسياسة الأمريكية، الى لعب دور الوكيل، واحيانا الشريك لها، والعمل على تسوية ملفاتها الشائكة مع اطراف اقليمية لم تعد ترغب او ترحب بالوساطة الأمريكية. وهذا ما ركزت عليه الصحافة الالمانية في تناولها لمسألة تشكيل الاتحاد من اجل المتوسط وعشية قمة باريس في . تموز ، حيث اشارت صحيفة Suddeutsce Zeitung الالمانية بان ساركوزي استغل انحسار النفوذ الامريكي في الشرق الاوسط لاعادة انشاء محور كبير جديد لصالح فرنسا[6]. ولذا فان عودة فرنسا الى هذه المنطقة من جديد، وخصوصا منطقة المغرب العربي بعد التراجع والتباعد الذي استمر لاكثر من عقدين، يتطلب مشروعا

---

[5] Union pour la mediterranee : Un marche de dupes .
http://www.nouvelordremondial.cc/cat/union-meditrraneenne/

[6] La France ambitionne d,etendre son influence en creant l,union pour la mediterranee .
http://www.nouvelordremondial.cc/cat/union-mediterranee

"جديدا" يحقق العديد من الاهداف التي وضعتها السياسة الخارجية الفرنسية على سلم اولوياتها، سواء فيما يتعلق بكيفية تعاملها مع الدول الاوروبية المنافسة لدورها فيما يتعلق بقضايا الشرق الاوسط، التي وجدت فيها باريس الفرصة المناسبة لتأكيد دورها الفعال المركزي، خلال فترة انشغال البيت الابيض بالانتخابات الرئاسية، اضافة الى الاهداف والطموحات التي تتصدر قائمة اهتمامات السياسة الخارجية الفرنسية في رؤيتها الساركوزية وليست الديغولية، ولا سيما في ظل وضع دولي مضطرب وفوضى شرق اوسطية عارمة .

ولذلك، فان ملامح هذه السياسة المتوسطية للرئيس ساركوزي قد اتضحت مساراتها خلال حملته الانتخابية، حيث ان ميناء تولون الفرنسي على البحر الابيض المتوسك شكل المنفذ الذي خاطب من خلاله دول المنطقة في السابع من شباط– فبراير ، واعدا شعوبها بوضع "منطقة المتوسط على طريق اعادة التوحيد" مركزا على مصطلح التنمية المشتركة، على تقاسم التكنولوجيا المعرفة والخبرات بين ضفتي الحوض، مع ما يتطلبه ذلك من انشاء البنك الاستثماري المتوسطي يعني بتمويل مشاريع المياه والطاقة وحماية التراث في جو من التعاون والتضامن والاحترام" [7]. وبعد عدة ساعات على اعلان فوزه في الانتخابات كرئيس لفرنسا، اكد مرة اخرى، ضرورة بناء فضائه الجيو–سياسي المتوسطي، وعده كهدف مركزي من الاهداف ذات الاولوية في سياسته الخارجية. . ارسل نداء الى الشعب الفرنسي والى شعوب المتوسط ليقول لهم "بانه في المتوسط سيلعب الكل، وبانه يجب علينا ان نزيل كل الاحقاد ليحل محلها الحلم الكبير للسلام والحلم الكبير للحضارة، واقول لهم بان الوقت قد حان لنشيد في المركز اتحاد المتوسط، والذي سيكون لحمة الاتحاد ما بين اوروبا وافريقيا. ذلك الذي حصل من اجل اتحاد اوروبا منذ . عاما، وسوف نفعله اليوم من اجل اتحاد المتوسط" [8].

ثانيا: اهداف المشروع والمعارضة الالمانية

---

[7] **Op,cit**

[8] **هاني الشميطلي، "اوروبا والمتوسط: تاريخ العلاقات ومشروع الاتحاد من اجل المتوسط"، المجلة العربية للعلوم السياسية، الجمعية العربية للعلوم السياسية بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ١٩ صيف ٢٠٠٨، ص ١٥٢ – ١٥٣.**

[9] **La rehetorique sarkzyste a l,epreuve de larealite .**
http://www.nouvelrdremondial.cc/cat/union-mediterranee/

في الواقع، لقد حاول ساركوزي ان يكـ انشاء هذا الاتحاد المتوسطي "اتحادا اقليميا" مقتصرا على الدول الاوروبية المتوسطية، والدول الاخرى من الضفة الجنوبية وخاصرته الشرقية، وان يكون اطار مؤسساتي يتجاوز ما تجاهلته عملية برشلونة ، الامر الذي تطلب القيام مسعى دبلوماسي وسياسي مكثف. اولا لاقناع قادة ول الضفة الجنوبية بالامتيازات "الجديدة" للمشروع، وثانيا الحصول على مصادقة الدول الاوروبية المتوسطية الكبيرة على وثيقة مشروعه، وما يمكن ان يتحقق للاقتصاديين الاسباني والايطالي بالتحديد.

وقد كانت محطته الاولى للترويج لمشروعه المتوسطي العواصم المغاربية الثلا ": تونس، الجزائر، والرباط، الا ان الاخيرة عبرت عن استيائها من جولة ساركوزي الذي لم يبدأها بالمغرب ادراجها في مؤخرة مواعيد زياراته، الامر الذي دفعها الى طلب تأجيل الزيارة الى موعد لاحق. وفي مؤتمره الصحفي في العاصمة الجزائر (. تموز) اعلن ساركوزي بان "لديه خريطة طريق طموحة لتعزيز العلاقات في التجارة والاستثمار والطاقة والامن وتنقل الافراد، وانه مستعد للذهاب الى ابعد مما هو قائم" لاقامة تعاون عسكري ((وشديد الانفتاح)) على مبيعات الاسلحة للجزائر" ((. ويبدو ان الجزائريين الذين استمعوا بانتباه الى "تحذيرات" ""اغراءات" الرئيس الفرنسي من تنامي خطر تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الاسلامي في الجزائر والمغرب، وضرورة "تعاون وتنسيق" كل الاطراف لمواجهتها، مقابل تعاون عسكري مفتوح، ودفع شركات الطاقة الفرنسية الى اقامة علاقات اوثق مع شركة سوناطراك الجزائرية، ووصول مضمون ومؤكد للبضائع الجزائرية للاسواق الاوروبية الاخرى، الا ان هذه "المغريات" التي اعتادت الجزائر على سماعها في السابق، لم تكن كافية لاعطاء موافقتها المبدأية على المشروع، وطالبت بمسعى دبلوماسي وسياسي فرنسي ملموس لحل مشكلة الصحراء الغربية. ومثل هذا التحفظ وجده ايضا الرئيس الفرنسي في زيارته لتونس، التي كانت "منزعجة" من "مسألة تعزيز الديمقراطية" ""حقوق

---

[10] سامية بيبرس، "الاتحاد من اجل المتوسط ومستقبل الشراكة الاورو-متوسطية"، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٤، اكتوبر ٢٠٠٨.

[11] هاد يحمد، "ساركوز جولة مغاربية لترويج المتوسط الغامض"، شبكة اسلام اون لاين، الرابط الالكتروني:

http://www.isamoline.net/servelt/satellite?v=article_C&cicl=1183484154337&pagen.

الانسان" المصادرة في تونس، والتي تشكل المحور الثالث لاهداف الاتحاد من اجل المتوسط الا انها عبرت عن دعمها للمشروع.

الا ان زيارته للمغرب في اكتوبر ، كان لها بعد سياسي متميز حيث اعلن من مدينة طنجة بأنه "ينبغي على البلدان المطلة على المتوسط التطلع الى ما هو ابعد من اخفاقات الماضي، وبناء اتحاد متوسطي يمكن ان يعالج الانقسامات الثقافية، وينهي النزاعات الدينية، ويضيق الفجوة المتسعة في الثروة بين الشمال والجنوب" عيا "كل رؤساء الدول والحكومات في الدول المطلة على البحر المتوسط للاجتماع في فرنسا في يوليو لوضع اسس اتحاد سياسي اقتصادي وثقافي يقوم على مبدأ المساواة الكاملة" . وقد عبرت الرباط عن موافقتها على تأسيس هذا المشروع الذي وصفه ساركوزي بانه "حلم حضاري للسلام والعدالة"" ويشكل قطيعة مع تصرفات الحذر والريبة، وانفتاحا على "الشجاعة والاحترام" [12] .

واذا كان جان–ميشيل فيرنوشيه (Jean-Michel Vernochet) قد اشار في دراسته التي نشرتها مجلة جيوستراتيجي الفرنسية تحت عنوان: الاتحاد من اجل المتوسط والحدود الجديدة لحرب اوروبا)) [13]) الى ان هذا المشروع كان في الاصل مبادرة شخصية من قبل الرئيس ساركوزي على غرار اورو–افريقيا (Eurafriqe)، الذي فرض على فرنسا الاخذ بنظر الاعتبار المشاكل التي يواجهها الاقتصاد الفرنسي في اطار الازمة الاقتصادية العالمية، يضاف اليها مسألة المأزق السياسي حيث ارتبكت فيه المؤسسات الاوروبية التي فقدت شرعيتها في اوروبا الحقيقية، بعد الرفض الايرلندي في – حزيران– يونيو لمعاهدة لشبونة، بعد الرفض الفرنسي والهولندي للدستور في عام الذي كشف الى أي مدى وصل اليه وضع هشاشة الصرح الاوروبي، فان الصحفي الفرنسي في صحيفة اللوموند دبلوماتيك (آلن كريش Alain Gresh) قد حدد عددا معينا من القضايا التي اشرت القطيعة الكبيرة من

---

[12] رويترز ، "ساركوز يطلق "المتوسطي " ويدعو لمؤتمر تأسيس" ،شبكة اسلام اون لاين . الرابط اللالكتروني :

http://www.islamonline.....=119304906384&pagen.

[13] هاني الشميطلي ، مصدر سبق ذكره ،ص ١٥٣.

[14] Jean–Michel Vernochet, L,union pour la Mediterranee et les nouvelles frontiers de guerre de l,Europe,
http://www.geostrategie,com/888/1%E2%80%99union-pour-la-mediterranee-et-les-nouv…

جهة حكومة ساكوزي عن الخطوط الجوهرية للسياسة الخارجية الفرنسية للحكومات الديغولية السابقة منذ عام . اذ ان الرئيس الفرنسي ومن لحظة فوزه امسك بيديه كل مفاصل وقرارت السياسة الخارجية ووجهها نحو خطوط وتحالفات متعارضة بالكامل عن تلك السياسة التي انتهجها الرئيس السابق جاك شيراك. فالسياسة الخارجية لساركوزي اضحت مؤيدة للاسرائيل ، ومؤيدة للولايات المتحد ، ودور فاعل ومركزي في حلف الناتو، وحيث انها في السابق كانت رافضة لهذه التوجهات او التحالفات، حتى ان المعارضين من الحزب الاشتراكي الفرنسي وصفوا ساركوزي "بالمحافظ الامريكي الجديد بجواز فرنسي (un neo –conservateur americain avec un passeport francais) .

ومن هنا يلاحظ، بان الرئيس الفرنسي حاول من خلال هذا المشروع تحقيق عدد من الاهداف في مجال الطاقة والامن، والارهاب، والهجرة غير الشرعية وتلوث مياه البحر وغيرها، الا انه تبرز بينها ثلاثة اهداف رئيسية ومخفية، وخصوصا وانه اراد ان يرى مشروعه الكبير قد حول المتوسط الى قطب القرن الحادي والعشرين، وهي:

اولا: وضع ترتيب لتركيا خاص في اوروبا بدون انضمامها للاتحاد الاوروبي، حيث ان فكرة ضمها الى هذا المشروع الهدف منه هو التقليل قدر الامكان من الحضور الاسلامي في الكيان الاوروبي حيث تشير بعض الاوساط اليمينية المتطرفة الى ان انضمام تركيا والبوسنة والبانيا وكوسوفو سيصبح عدد المسلمين في الاتحاد الاوروبي مليون مسلم وبتزايدهم السكاني سيقتلعون "الجذر المسيحي من اوروبا"، وهي الفكرة التي عارضها رئيس الوزراء الايطالي برلوسكوني الذي شكك في ان يكون لانضمام تركيا للاتحاد الاوروبي أي خطر على التكوين المسيحي والغربي في الاتحاد الاوروبي .

ثانيا: ونتيجية لتوجهه الجديد في سياسته الخارجية نحو الاهتمام والانغماس الفرنسي بقضايا الشرق الاوسط اكثر من السابق، وبعد ان حصل على الضوء الاخضر

---

[15] La france ambitionne d,etendre son influence ,op,cit
[16] Op.Cit
[17] Union pour la mediterranee:un " ORNI " objet remuant non identifie ? http://www.nouvelordremondial.cc/cat/union-mediterraneenne/

الامريكي في هذا الخصوص، فان مهمة التسوية المسبقة للصراع العربي–الاسرائيلي حيث انشاء الدولة الفلسطينية وقضية القد ، واحتضان الطرفان في فضاء من التعاون المشترك تشكل الهدف الجوهري لهذا المشروع بعد ان فشلت كل المحاولات السابقة لتسوية هذا الصراع. وان الجمع ما بين تركيا واسرائيل في هذا المنتدى المتوسطي، وباعتبارهما من اعمدة الستراتيجية الأمريكية في الشرق الاوسط من شأنه ان يضعف التكتل العربي في هذا الاتحاد ويحد من تأثير هيمنته في القرارات التي سوف تصدر او تتخذ بصدد العديد من القضايا التي تشغل المنطقة. والاكثر من ذلك العمل على ان تحل ايران لتكون ال الاول للعرب بدلا من اسرائيل، وتبرئة الغرب من مسؤوليتهم عن المأساة التي لحقت بالشعب الفلسطيني . سنحاول التطرق الى هذه النقطة بشكل مفصل عندما نتناول انعكاسات انضمام اسرائيل لهذا الاتحاد في السطور القادمة.

ثالثا: ترتيب وضع خاص ايضا لدمج السوق المغاربية في السوق الاوروبية، وكذلك جزء من المشرق العربي، بعد ان تم طرح صيغة التعاون مع دول الخليج :لعربي من خلال الشراكة الخليجية–الاوروبية، حيث يتم من خلال ذلك تقويض اسس السوق العربية المشتركة قيد التكوين ووضع نهاية لاي مشروع عربي وحدوي في المستقبل، وعلى امل تجفيف منابع الهجرة السرية لاوروبا وقطع الطريق على الاختراق الصيني للاسواق الافريقية التي تعد المستثمر الثاني في افريقيا امام فرنسا باستثمارات قدرت بحوالي مليار دولار الامر الذي سيسمح لها باختراق الخاصرة الجنوبية لقارة اوروبا.

المعارضة الالمانية للمشروع:

في الواقع، ان ما قامت به المانيا الموحدة في عقد التسعينات من الاستحواذ على اقتصاديات واسواق دول اوروبا الشرقية ومنطقة البلقان قد اثار انتقادات الاوساط السياسية والاقتصادية الفرنسية وطالبت بضرورة الالتزام بالعمل ضمن اطار الاتحاد الاوروبي ومؤسساته. وعلى الرغم من ان الخلافات بين برلين وباريس تتم تسويتها كل مرة من خلال القمم السنوية الالمانية–الفرنسية التي تعقد بالتناوب في احدى مدن الدولتين، الا ان باريس حاولت هذه المرة طرح خيارها المتوسطي بعيدا عن اشراك

---

[18] **Op.Cit**

الدول الاوروبية غير المتوسطية والتي طالما اتهمتها باريس بانها هي التي عطلت ، باساليبها البيروقراطية، ما تم اتخاذه من قرارات في اطار مسيرة برشلونة التي بقيت تدور في حلقة مفرغة. ولكن الامور لم تعد تسير كما ارادها ساركوزي. حيث ان مغازلته لندن حول الاستمرار في الوجود البريطاني في جبل طارق وتكثيف التعاون الفرنسي–البريطاني حول الامن البحري، لم يمنع البريطانيين من ابداء تحفظهم على المشر . وبالتأكيد، فان ساركوزي ادرك بان اية محاولة لملاء الفراغ في الشرق الاوسط ومنطقة حوض المتوسط تتطلب حلفاء اقوياء من الدول الاوروبية الكبيرة.

وعليه، فقد اتجهت باريس نحو جيرانها :ايطاليا واسبانيا ، حيث الجهود الفرنسية افلحت في اقناعهما بصيغة هذا المشروع الذي سيفتح سوقا واسعة في الضفة الجنوبية عوضا عما تلاقيه من منافسة المانية في الشرق الاوروبي، والاتفاق على الاجتماع الثلاثي بين الرؤساء الثلاثة: ساركوزي وورومانو برودي ورئيس الوزراء الاسباني خوزيه –لويز ثاباثيرو في روما في العشرين من كانون الاول . وقد افضى الاجتماع الذي تناول بالنقاش المطول الاسس التي سوف يستند اليها المشروع الجديد، وآلية تمويله وبناء مؤسساته التي تختلف عما وضعه مسار برشلونة، الى اصدار "نداء روما للاتحاد من اجل المتوسط"، الذي دعا رؤساء المنطقة الى قمة شاملة لتأسيس الاتحاد. وعلى الرغم من ان مدريد ابدت بعض التردد، ورأت في ذلك اجهاضا لمسيرة برشلونة التي انطلقت من مدينتها وبرعايتها نهاية عام ، وكذلك التفافا على منتدى برشلونة المتوسطي ((+ ())، الا انها، وبحسابات المصالح الاسبانية–الفرنسية، قررت مدريد السير مع المشروع الفرنسي، واصرت ان يتضمن نداء روما افكار واهداف تشكل مكملا لآليات التعاون الاوروبي–المتوسطي الاخرى ولا سيما عملية برشلونة وسياسة الجوار الاوروبية ون الحلول مكانها او اعاقة عملها، والتأسيس لشراكة متوازنة، واحلال السلام والتنمية بين ضفتي المتوسط. كما اكد النداء على ان الاتحاد من اجل المتوسط سوف لا يتداخل مع المفاوضات الجارية مع الدول الاخرى المعنية بالدخول الى الاتحاد الاوروبي مثل كرواتيا، ولا بين الاتحاد الاوروبي وتركيا، حيث ان رئيس الوزراء الايطالي رومانو برودي قد صرح ومكررا

تصريحه بان صياغة وطرح هذا المشروع لا يذهب بالبعض الى اعتباره مخرجا للتملص من المفوضات الجارية لعملية قبول تركيا في الاتحاد الاوروبي .

وعلى الرغم من ان الدول الاوروبية الاخرى غير المطلة على المتوسط ابدت تحفظاتها ومعارضتها للمشروع بدرجات متفاوتة، الا ان المعارضة القوية جاءت من المستشارة الالمانية انجيلا ميركل (Angela Merkel)، التي وصفت المشروع في السابع من ديسمبر)–كانون الاول بانه مشروع "خطر جدا"، وبالنظر لما يشكله من خطر "اطلاق القوى المتطرفة المحددة وغير المقبولة"[19] .

ورأت بعض الاوساط الالمانية بان هناك رغبة غير ظاهرة لدى الرئيس الفرنسي في تجاهل مصالح بلاده لصالح المصالح الانكلو–سكسونية، وانه بذلك سيؤدي الى تقويض الثنائي الالماني–الفرنسي، المحرك التاريخي للبناء الاوروبي ويحل محله الثنائي الفرنسي–البريطاني من اجل تفكيك الاتحاد الاوروبي وصهره في التحالف الاطلسي. وفي هذا الاطار فان الاليزيه يستخدم الاتحاد من اجل المتوسط كحصان طروادة ضد الالمان. وقد انضمت الى جانب المانيا كلا من سلوفينيا وهولندا، وبقية دول اوروبا الشرقية التي عدت المشروع، الذي طرح تحت صيغة "الاتحاد المتوسطي" محاولة فرنسية لعزلها عن المنطقة، وانفراد فرنسا لوحدها لزيادة نفوذها السياسي والاقتصادي في حوض المتوسط، في الوقت الذي حاولت فيه باريس ان تتجنب كل منافسة معلنة مع الولايات المتحدة، التي لم تبد معارضتها للمشروع طالما يؤدي الى تحقيق الاهداف والسياسات التي تتبناها تجاه اسرائيل .

وخلال القمة الفرنسية–الالمانية التي انعقدت في هانوفر في الثالث من مارس–لتسوية الخلافات العالقة بين باريس وبرلين التي برزت خلال الاشهر الماضية وخصوصا حول السياسة المالية، ومشاكل البنك المركزي الاوروبي، فقد اصرت انجيلا ميركل على ادخال التعديلات الاتية على المشروع لكي يحظى بالموافقة الاوروبية وتوفير التغطية المالية لتكاليف انعقاد القمة، وهي:

---

[19] **Commene eteindre l,incendie en degonflant la baudruche. http://www.nouvelordremondeial.cc/cat/union-mediterraneenne/**
[20] **Jean- michel Vernochet ,op. cit**
[21] **La France ambitionne d,etendre son influence ,Op .cit .**

- تغير تسمية المشروع من "الاتحاد المتوسطيL,union mediterraneenn " الى الاتحاد من اجل المتوسط union pour la mediterranee ، حيث ان التسمية الاولى مشابه للاتحاد الاوروبي.
- ان كل اعضاء الاتحاد الاوروبي (دولة) يشاركون في الاتحاد من اجل المتوسط وبصورة كاملة وعلى قدم المساواة، حيث ان الرؤية الالمانية لا ترى ان يكون الاتحاد من اجل المتوسط مشروعا لتقسيم الاتحاد الاوروبي بين دول مطلة على المتوسط ودول غير مطلة عليه.
- وفيما اذا اريد لهذا المشروع ان يرى النور، يجب ان يكون "مشروعا اوروبيا" لا مشروعا فرنسيا منفردا، ويخرج بقرار من القمة الاوروبية وبشكل جماعي .

وهنا يلاحظ، بانه في الوقت الذي استطاعت المستشارة الالمانية، وحرصا منها على وحدة الاتحاد الاوروبي والمصالح الالمانية، ان تجبر الرئيس الفرنسي على اعادة ترتيب المشروع بما يؤدي الى مشاركة اوروبية جماعية ويخرج بقرار جماعي، لم يستطع العرب، لا في اطار الجامعة العربية، ولا حتى في القمم المصغرة ان يخرجوا بقرار موحد، وانما ذهبت كل دولة تبحث عن مصالحها الضيقة والآنية ، حتى وان كانت على حساب الدول العربية الاخرى وقضاياها المصيرية.

وقبل ان تعقد الدول العربية المعنية بالمشروع قمتها المصغرة في طرابلس/الجماهيرية الليبية بحضور ست دول في العاشر من حزيران ما تلاها من اجتماعات عربية اخرى، التئمت في بروكسل قمة المجلس الاوروبي بحضور كل رؤساء دول وحكومات الاتحاد الاوروبي يومي – مارس– – ، حيث تمت المصادقة على المشروع بالاجماع، على ضوء ما تم الاتفاق عليه في قمة هانوفر في الثالث من مارس التي جمعت ساركوزي وانجيلا ميركل وتم تكليف المفوض الاوروبي خوزيه مانويل باروزو (Jose Manuel Barroso) بوضع المقترحات الخاصة للمشروع، وان "كل الدول الاوروبية سيكونون اعضاء في الاتحاد من اجل المتوسط" ولكن رئاسة الاتحاد ستكون "مقتصرة حصرا على الدول

---

[22] L,union pour la mediterranee http://www.nouvelordremondial.cc/cat/union-mediterraneenne/ voir aussi ,"La france ambitionne d,tender son influence ,op.cit

المطلة على البحر المتوسط"، حسب تصريح الرئيس الفرنسي، الذي اضاف بانه من غير الممكن ان افكر في استبعاد بعض الدول الاوروبية من المشروع، بالعكس من ذلك فقد دعوت كل الدول للمشاركة، وان الاتحاد من اجل المتوسط لم يطرح كمنافس للاتحاد الاوروبي وان ذلك لم يكن من تفكيري" .

ويبدو ان المفوضية الاوروبية قد ابدت ايضا منذ البداية تحفظها على المشروع الذي اقتصر على الدول المطلة على المتوسط، الامر الذي سيؤدي الى تقليص دورها في الادارة والتوجيه، وايدت وجهة النظر الالمانية بمشاركة الكل والاستمرار على نهج برشلونة، حتى رئيس المفوضية خوزيه مانويل باروزو قد اعلن عقب انتهاء القمة" بانه على ما يبدو بان كل الشروط قد توفرت للذهاب الى الامام" في عقد القمة التأسيسة في باريس في الثالث عشر من تم كما ان المستشار النمساوي (Alfred Gusenbauer) أكد في الوقت ذاته "بان الذي يبدو مهما الان هو ان المشروع اصبح مشروعا اوروبيا" .

وهكذا خرجت قمة بروكسل بموقف اوروبي مشترك وتوافقي، اخذ بنظ الاعتبار كل المصالح الاوروبية، حتى لتلك الدول المعارضة للمشروع من اساسه ومن بينها اليونان، وسلوفينيا التي تسلمت رئاسة الاتحاد الاوروبي ابتداء من الاول من كانون الثاني وحتى الثلاثين من حزيران من السنة نفسها.

ثالثا: أسرائيل والاتحاد من اجل المتوسط

في الواقع، لم تتردد بعض الاوساط الفرنسية في التعبير عن مواقفها من ان الاتحاد من اجل المتوسط هو في الحقيقة الاتحاد من اجل اسرائيل وهو "فكرة مزيفة وجيدة ولا يعتقد بها أي شخص ما عدا الحركة الصهيونية واصحاب الشركات الذين يبحثون عن الحماية السياسية، وان الرئيس حاول اعادة تنظيم الاتحاد الاوروبي حول الشراكة الفرنسية – الانكليزية وفتح الباب على مصراعيه امام اسرائيل نحو المنطقة" .

---

[23] Accord des 27 sur l,union pour la mediterranee.
http://www.nouvelordremondial.cc/cat/union-mediterranennee/
[24] Yves Clarisse ,"L,union mediterraneenne corrigee passé le cap europeen"
http://www.nouvelordremondial.cc/cat/union =mediterraneenne
[25] La rhetorique sarkozyste a l,epreuve de la realite
http://www.nouvelordremondial/cc/cat/union=mediterraneenne

لان اسرائيل هي الطرف الوحيد التي حصدت الكثير ،سابقا من عملية برشلونة وتحت غطاء الشراكة الاورو– متوسطية، وهي الان تدخل حوض المتوسط بضفتيه الشمالية والجنوبية من خلال هذا المشروع الذي فسح لها المجال الواسع للاندماج بالمنطقة، بعد ان اصبحت تتمتع "بالعضوية شبه الكاملة" في الاتحاد الاوروبي على أثر المفاوضات التي جرت في السادس عشر من حزيران – بين مجلس وزراء الاتحاد الاوروبي السبعة والعشرين واسرائيل، والتي افضت الى التوقيع على اتفاقية الشراكة الاستراتيجية المتقدمة في الثامن من كانون الاول –" بحيث انها اضحت مندمجة بشكل كامل بالسوق الاوروبية، وفي مؤسسات الاتحاد الاوروبي ومشاركة الوزراء الاسرائيليين في اجتماعات المجلس الاوروبي، وكذلك الخبراء في كل البرامج ومجموعات العمل، اضافة الى التعاون السياسي والامني الذي شكل حجر الزاوية في هذه الشراكة . وهذا ما ضغطت من اجله الحركة الصهيونية نحو " توطيد روابط التعاون ما بين اسرائيل والدول الاوروبية بدون تقديم أي تنازلات من جهتها". ". يشير الصحفي الفرنسي آلن كريش في مقاله الذي نشر في صحيفة اللوموند دبلوماتيك لشهر كانون الاول بان الاتحاد الاوروبي استسلم امام اسرائيل في هذا الاتفاق الذي سمح لها بان تكون جوء من السياسة الخارجية والامن المشترك للاتحاد، وكذلك سمح لها التعاون في اطار سياسات الامن والدفاع المشترك للاتحاد الاوروبي، وان يشترك من اسرائيل خبراء في المهمات الامنية الخارجية للاتحاد الاوروبي سواء اكان في افريقيا ام في مناطق آخرى من العالم. وفي الامم المتحدة حيث اسرائيل لا تستطيع المشاركة مع المجموعة الآسيوية، فان الاتحاد الاوروبي تعد بالعمل على ادماجها ضمن المجموعة الغربية الاوروبية، اضافة الى تكثيف الحوارات ما بين البرلمان الاوروبي والكنيست، والتشاور في المسائل الاستراتيجية وغيرها .

---

[26] الاتحاد الاوروبي يرفع مستوى علاقاته مع اسرائيل . الرابط الالكتروني :
Altawasul.com/MFAAR/bilateral+relations/ates/+developement/…
وينظر ايضا :Jean-Michel Vernochet, op.cit

[27] La rhetorique sarkozyste , op.cit

ينظر ايضا :

Alain Gresh ," L,union europeenne capitule devant Israel ," , Le monde Diplomatique ,decembre 2008

واذا كان الرئيس الفرنسي قد تنقل بين عواصم دول المنطقة المعنية بالمشروع ، والتي زارها اكثر من مرة في نهاية عام ، وفي النصف الاول من عام ، فان زياراته لاسرائيل كان لها البعد السياسي الواضح، وتميزت عن غيرها بملامح خاصة، والتي صادفت في الذكرى الستين لاعلانها، وبعد ان صرح "بانه صديق مطلق لاسرائيل" ، وبانه "لن يتساهل مع كل ما يمس حق اسرائيل في الامن" في اول زيارة لرئيس فرنسي منذ وسبق واصدرت تل ابيب طابعا يحمل صورته بعد فوزه في الانتخابات الفرنسية ايار–مايو وذلك لدوره الفاعل في رعاية وحماية منظمة الدفاع اليهودية الارهابية التي تعمل في فرنسا وقد تم حظرها في الولايات المتحدة، الا ان ساركوزي لم يعمل ذلك عندما كان وزيرا للداخلية، وعمل على دعمها في المدة الحالية. وقد تم خلال هذه الزيارة التأكيد على تنفيذ الوعود التي قطعها على نفسه الرئيس ساركوزي خلال حملته الانتخابية برفع مستوى العلاقات الاوروبية–الاسرائيلية الى مستوى متقدم جدا لتعهد بالمحافظة على أمن اسرائيل حتى انه ذهب الى تونس في نيسان ليعلن من هناك وامام طلبة المعهد الوطني للعلوم التطبيقية بان "فرنسا سوف لن تتساهل مع أمن اسرائيل" ، مؤكدا لقادتها بان اندماجها في المنطقة سيشكل هدفه المركزي، ومن اجل ذلك فان الاتحاد المتوسطي، او الاتحاد من اجل المتوسط هو المدخل الذي ستنفذ منه اسرائيل كلاء اساسي في هذا الفضاء الجغرافي، ووضع العرب امام هذا الواقع الجديد الذي ليس باستطاعتهم معارضته او تغيره. اذ سبق وان اعلن وزير الخارجية الفرنسي برنارد كوشنير (Kouchner) في السابع من ديسمبر معرضة ليبيا، وما اثير من تحفظات عربية ضد مشاركة اسرائيل، بانه "ليس هناك اتحاد من اجل المتوسط من اسرائيل. نحن لا نتصور ذلك") .

---

[28] **Sommet de l,union pour la mediterranee : pourquoi Bouteflika n,irait pas a paris : http://www.nouvelordremondial.cc/cat/union=mediterraneenne/**

[29] **L,union pour la mediterranee et l,enjeu de la securite regionale . http://www.fr.wordpress.com/tag/mediterranee-**

[30] **Kouchner : pas d,union mediterraneenne sans Israel : http://geostrategie.com/282/kouchner-pas-d%E2%80%99union-mediterraneenne-sansisrael...**

اذ ان الرئيس الفرنسي، وبعد ان اخفقت كل المشاريع والمبادرات السابقة في تحقيق اهدافها، ولا سيما في اطار التسوية السياسية للصراع العربي–الاسرائيلي +□ بانه اذا كانت السياسة تفرق، فان الاقتصاد يمكن ان يوحد، وبهذه الرؤية انطلق في مشروعه ليشكل "الخطوة الاولى نحو التقارب المستقبلي" بين العرب واسرائيل. فالاقتصاد حسب رأيه" لغة عالمية شاملة لا تعرف الحواجز الايديولوجية ولا المحرمات السياسية، واسرائيل حسب وجهة نظره موجودة في مسرح الاقتصاد الدولي. وستبقى موجودة، ويجب ادماجها في هذه العملية، وهذا اعتراف اجباري وضروري" [31]. وهكذا، استطاع ساركوزي ان يعلن بعد انتهاء اعمال قمة التأسيس المتوسطية التي انعقدت في باريس في . تموز–يوليو عشية العيد الوطني الفرنسي، بان المشروع "كان حلما وتحول الى حقيقة" بعد ان جمع على طاولة واحدة كل الاطرا " "المعادية" لاسرائيل، وعد ساركوزي ذلك الحدث "انتصار" بحد ذاته، لان العالم، حسب قوله "سوف لا يتغير بين يوم وليلة، وانما يحتاج الى وقت" [32].

وقد فرضت اسرائيل نفسها كلاعب اساسي في هذا الفضاء الجديد، والتحكم بمسارات توجاهاته ومشاريعه الامنية والاقتصادية والسياسية، وحتى بهيكليته التأسيسه، بحيث انها حصلت على منصب الامين العام المساعد، من بين المناصب الخمسة في الاجتماع الوزاري لوزراء خارجية الدول الاعضاء في الاتحاد الذي انعقد في الرابع من تشرين الثاني–نوفمبر □ في مدينة مرسيليا الفرنسية، مقابل ان تسمح للجامعة العربية ان تتمتع" بالعضوية الكاملة" في الاتحاد. وهي التسوية التي لعبتها إسرائيل بمهارة عالية إمام فشل دبلوماسي سياسي عربي واضح، لان عضوية الجامعة العربية (ومن خلا دولة منضوية في عضويتها وبكونها الاطار الجامع للنظام الاقليمي العربي) في الاتحاد هو مكسب لاسرائيل التي كسرت كل الحواجز لكي تكون والعرب في منتدى واحد، وعلى طاولة واحدة، وانتهت مرحلة "سياسة الكراسي الفارغة" التي كان يتركها العرب في المحافل الدولية احتجاجا على حضور إسرائيل. اذ سبق وان وعد ساركوزي إسرائيل ومن خلال خطابه الذي القاه في الكنيست في الثالث والعشرين

---

[31] L,union pour la mediterranee et les perspctives commerciales avec Israel
.http://fr.wordpress.com/tag/mediterranee-
[32] L,union pour la mediterranee lancee sous le signe de la paix .
http://www.le Figaro.fr/international/union-pour-union-mediterranee.pht

من حزيران–يونيو – بانها ستجد مكانها الى جانب كل الدول العربية، من سوريا الى المغرب .

يضاف الى ذلك، بانه ليس هناك للصوت العربي من تأثير في القرا التي تتخذ وفي مجمل القضايا الحساسة ولا سيما في اطار هدف الاتحاد الجوهري المتمثل في محاربة الارهاب والامن البحري، طالما ان التصويت يتم عليها على اساس مبدأ الاجماع، الامر الذي جعل من صوت اسرائيل سواء أكان بالرفض ام القبول مساويا في تأثيره لكل اصوات الدول العربية وجامعتها، لا بل معطلا لاي مشروع قرار عربي يمس مصالحها السياسية والامنية، وهذا ما لوحظ في صياغة فقرات الاعلان النهائي للقمة. ناهيك عن ان الدور الذي سيلعبه الامين العام المساعد والذي تحتله إسرائيل سيكون دورا كبيرا وفاعلا وخصوصا عندما يضطلع بلجان ملفات ذات اهمية كبيرة في التنمية والامن والتعاون المشترك، الامر الذي يجعله في تماس مباشر مع ممثلي الجامعة العربية والدول العربية الاخرى.

وقد استطاعت اسرائيل اقناع الرئيس ساركوزي بتخفيف نبرة "العداء" تجاه تركيا، وعدم الظهور بمظهر المعارض لانتمائها للاتحا الاوروبي، والعمل على ادماجها في الفضاء الاوروبي–المتوسطي، لان مسألة عزل تركيا او عدم الاكتراث بمشاغلها الامنية والسياسية والاقتصادية، من شأنه ان يدفع بها الى الاتجاه نحو العالم العربي–الاسلامي وبالتحديد نحو سوريا وايران، وان ذلك ليس في مصلحة اسرائيل ولا حتى في مصلحة اوروبا على الاطلاق ، الامر الذي دفع بفرنسا ان تضمن الاعلان النهائي للقمة وعدا "فرنسيا بترشيحا للانضمام الى الاتحاد الاوروبي". وقد برزت بعض المواقف التي طالبت باعطاء تركيا منصب الامين العام المساعد السادس، اضافة الى المناصب التي وزعت ما بين فلسطين ومالطا، وايطاليا، واليونان . اذ ان انقرة ادت دورا كبيرا في المفاوضات غير المباشرة بين سوريا

---

[33] L,UPM,une nouvelle opportunite de paix au proche-Orient. http://www.france24.com/fr/20080711-union-mediterrannee-UPM-conflit-proche-orient-

[34] للمزيد من الاطلاع حول هذه النقطة ينظر :

ANDREW FINKEL ,"la Turquie regade vers l,Europe ",l, monde Diplomatique ,juillet 2008

[35] Barcelone ,capitale de l,union pour la mediterranee http://www.acturca.wordpress.com/2008/11/05/barcelone-capitale-de-union-pour-la-mediterranee.

واسرائيل، والتي تحولت الى مفاوضات مباشرة من خلال المساعي الدبلوماسية الفرنسية. اذ حصل الرئيس الفرنسي على وعد من الرئيس السوري بانه سيتم الاعلان عما قريب من ان المفاوضات بين تل ابيب ودمشق ستكون مفاوضات مباشرة، وتعهد الرئيس ساركوزي من جانبه بان يضع تحت تصرف الطرفين وحدات عسكرية من الجيش الفرنسي لضمان تطبيق الاتفاقية التي سيتم التوصل اليها لتسوية النزاع بينهما .

رابعا: العرب والاتحاد من اجل المتوسط

لعل المفارقة الاولى التي تسترعي الانتباه ونحن نقرأ الموقف العربي من مشروع الاتحاد من اجل المتوسط، هي ان الضفة الجنوبية، التي هي نصف هذا الاتحاد هي ضفة عربية، ومع ذلك فان كل الدول العربية المشاركة ذهبت وهي لا تحمل أي موقف عربي مشترك حول الآلية التي سوف يتم بها تأسيس هذا الاتحاد، وما هي عناصره، واهدافه، وانما سياسات ومصالح "قطرية" ضيقة، واحيانا "شخصية"، على الرغم من القمم المصغرة التي انعقدت في ليبيا، وفي القاهرة، وحتى آخر اجتماع عقده وزراء خارجية الدول العربية المشاركة في باريس في الثاني عشر من تموز .

والمفارقة الثانية والملفتة للنظر هي ان الدول العربية المشاركة يسودها جو من عدم الثقة فيما بينها وتعيش في حالة من الخلافات والتوتر والصراعات الشخصية بين الرؤساء حتى ان دول المغرب العربي لم تستطع ان تلتئم في قمة للاتحاد المغاربي منذ عشر سنوات، ودول عربية رفض رؤساؤها حضور القمة العربية العشرين في دمشق في آذار عام ، استجابة للتحذير الامريكي الذي اطلقه شون ماكورماك الناطق باسم الخارجية الأمريكية قبل انعقاد القمة بمدة قصيرة ، في الوقت الذي لم يتخلف أي واحد منهم عن قمة باريس، متوسلا فرنسا وبعض القوى الاوروبية الاخرى ان تكون عاصمة دولته مقرا للامانة العامة للاتحاد بدلا من العاصمة العربية الاخرى، وبالنتيجة اصبحت برشلونة الاسبانية مقرا دائما للاتحاد وباجماع اوروبي، في الوقت الذي تنافست الاردن ومصر،تونس، المغرب والجزائر على مقر الاتحاد، وعارضت سوريا ذلك بشدة.

---

[36] **Mechil Benchelah ,"succes initial pour l,union de la mediterranee. http://.www.rfi.fr/actufr/articles/103/article_6860.asp**

[37] **يوميات عربية ودولية مختارة، مجلة العلوم السياسية، تصدر عن الجمعية العربية للعلوم السياسية بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ١٩ صيف ٢٠٠٨، ص ٢٠٣.**

ذا كانت الجماهيرية الليبية قد عبرت عن موقفها بعدم المشاركة في قمة باريس، واعدت هذا المشروع "حقل الالغام المخيف" وسوف يؤدي الى "تصعيد التيارات الاسلامية المتطرفة من عملياتها ضد اوروبا" "اهانة للعرب والافارقة" ويعمل على تمزيق لوحدة العربية والوحدة الافريقية، فان بقية الدولة العربية المطلة على المتوسط اضافة الى الاردن وموريتانيا قد اعلنت دعمها للمشروع، وتخلت عن تحفظاتها السابقة، ولاسيما حول تداعيات انضمام إسرائيل الى الاتحاد، والذي اثارته الجزائر في اكثر من مناسبة خلال زيارة ساركوزي اليها، وكذلك خلال منت المتوسط (فورميد) الذي عقد في العاصمة الجزائرية في (حزيران .

ويبدو، ان الاجتماع التنسيقي لوزراء خارجية الدول العشر العربية المطلة على المتوسط (بما فيها الاردن وموريتانيا) الذي عقد في القاهرة في مايو–ايار – لم يتوصل الى بلورة رؤية عربية مشتركة وسط تباين وجهات النظر المختلفة، الامر الذي ادى الى تكليف مصر اعداد ورقة تمثل الرؤية العربية من المشروع المتوسطي، الا انها لم تكن مقنعة لبعض الاطراف وأثارت بعض التحفظات، ولاسيما ليبيا التي دعت الى عقد القمة المصغرة، لكي تستطيع تكوي "جبهة عربية مناهضة" للمشروع، لكنها لم تفلح.

وفي الواقع "فان القمة العربية المصغرة التي عقدت في طرابلس في العاشر من حزيران وجمعت رؤساء ليبيا، سوريا، الجزائر، موريتانيا، تونس اضافة الى رئيس وزراء المغرب وبغياب الرئيس المصري، انهت اعمالها في جلسة مغلقة من دون صدور بيان مشترك "ملزم" يوضح موقفها من الاتحاد من اجل المتوسط. والمدهش في المواقف العربية، هو ان ليبيا والجزائر عدتا من بين اكثر الدول العربية المطلة على المتوسط معارضة لهذا المشروع، في الوقت الذي اشتركتا في مناورات (Phoenix Express2008) في بداية نيسان–ابريل تحت رعاية حلف الناتو وسطوة الاسطول السادس الامريكي، في اطار "الاندماج الامني في الفضاء البحري المتوسطي" وتنفيذا لما تم التخطيط له في حوار المتوسط، ومبادرة

اسطنبول وكذلك "مبادرة الدفاع " + "" التي اعلنت من لشبونة في ايلول من قبل وزير الدفاع الفرنسي .

وبدون شك فان الدول العربية التسع التي حضرت قمة باريس اضافة الى جامعة الدول العربية، ذهبت وهي تحمل في حقيبة كل منها مجموعة من الافكار والتصورات المتباينة، وحتى الاختلاف في الدوافع التي حثتها على الحضور. فسوريا التي كانت "ترغب" في بروز تكتل عربي واسع معارض للمشروع، وهو ما طالبت به في اجتماع القاهرة، فأنها وجدت في قمة باريس فرصتها المناسبة للخروج من العزلة السياسية الدولية التي فرضتها عليها الولايات المتحدة، والتعبير عن سياساتها ومواقفها من خلال هذا المنبر الدولي الذي سيشكل مجالا للقاء باكثر من اربعين رئيس دولة ورئيس حكومة اوروبية، حتى ان الصحافة الفرنسية قد اكدت بان الرئيس السوري نجح في كسر الطوق الامريكي من خلال المشاركة في القمة المتوسطية، وظهوره على منصة الشرف الاحتفالية بمناسبة العيد الوطني الفرنسي.

اما بالنسبة لمصر، فان مسألة رئاستها التناوبية للاتحاد من اجل المتوسط شكل دافعا اساسيا "لدعمها المطلق" لهذا المشروع ، الذي تأمل منه ان يقدم المزيد من المساعدات الاقتصادية والمالية والاستثمارية، ويخفف عنها الكثير من المشاكل التي يعاني منها الاقتصاد المصري، اضافة الى دعم دور مصر الاقليمي والدولي ولكونها ممثلة لدول جنوب المتوسط، في الوقت الذي يواجه فيه هذا الدور منافسة بعض الاطراف الاخرى، وخصوصا المملكة العربية السعودية التي تم دعوتها من بين دول الشرق الاوسط لحضور قمة العشرين الذي دعت اليه الدول الصناعية الكبرى لمناقشة الازمة المالية العالمية، الامر الذ الى استياء القاهرة من ذلك.

واذا كان للمشاركة اللبنانية دلالاتها السياسية والدبلوماسية، حيث الرئيس ميشيل سليمان يبحث عن دور اوروبي لحل مشاكله الداخليه والخارجية، فان تونس، التي ما عارضت يوما أي مشروع متوسطي، كانت تأمل بان تكون مقرا للاتحاد ويشكل حضور

---

[38] ضمت هذه المبادرة: الجزائر، ليبيا "موريتانيا، تونس، المغرب، فرنسا، ايطاليا، مالطا، البرتغال، واسبانيا.

Jean-Michel Vernochet, op. cit

[39] Diner de travail autour de l,union mediterraneenne entre Sarkozy et Moubarak
http:www.nouvelordremondial.cc/cat/union-mediterraneenne/

رئيسها مناسبة لتخفيف الاعلام الفرنسي من شدة انتقاداته للنظام التونسي لمصادرته الحريات العامة وحقوق الانسان. الا ان المنافسة بين النظامين الجزائري والمغربي شكلت بالنسبة للرئيس الفرنسي "مشكلة دبلوماسية كبيرة" اكثر مما طرحه الحضور الاسرائيلي. فالجزائر التي كانت تراقب عن كثب الموقف الذي سوف تتخذه الرباط، لم تعط موافقتها النهائية على الحضور، الا في اللقاء الذي جمع الرئيس الفرنسي ساركوزي والرئيس الجزائري بوتفليقه على هامش اجتماع الدول الصناعية الكبرى وسبع دول افريقية في اليابان مطلع تموز " حيث الدور المركزي الذي سوف تلعبه الجزائر، من خلال خبرتها وقوة نظامها، في انجاح هذه القمة" على حد تصريح الرئيس الفرنسي "، الامر الذي دعا الملك المغربي للاعتذار عن الحضور شخصيا لانشغاله في قضايا مهمة اخرى، مما دفع الصحافة الفرنسية الى التعليق بان العاهل المغربي تخلص من "الفخ الدبلوماسي الفرنسي" للقاء ومصافحة الرئيس الجزائري.

الخاتمة:

ان القراءة المتأنية للنقاط الرئيسية التي جاءت في الاعلان النهائي للاتحاد من اجل المتوسط حيث الطموح الاستراتيجي في بناء السلام والديمقراطية ومشاريع :لطاقة الشمسية، ومكافحة التلوث والدفاع المدني والامن البحري والمياه وغيرها: تؤكد بما لا يدع أي مجال للشك، من ان هذا المشروع، بقدر ما اثار الهواجس الامنية وظواهر عدم الاستقرار السياسي في الانظمة السياسية لدول الجنوب وضعفها في مواجهة الحركات الاسلامية المتطرفة والهجرة غير الشرعية المقلقة للامن الاوروبي وهي نفسها "الهواجس" التي انطلقت منها عملية برشلونة، فانه بالمقابل محاولة انقاذ للاوضاع الاقتصادية والمالية الاوروبية المنحدرة نحو التدهور بعد الازمة المالية التي يعاني منها الاقتصاد الغربي الرأسمالي منذ مدة" ولكن نتائجها السلبية المباشرة لم تظهر الا بعد الانهيار الكبير في سوق الاوراق المالية والشركات الصناعية والبنوك الكبرى . انه استجابة لحاجة اوروبية لاستغلال اكبر لموارد دول الجنوب المتوسط البشرية والمالية، وفتح اسواقها للبضائع والسلع الاستهلاكية التي تواجه الكساد في الدول الصناعية الاوروبية.

واذا كان مشروع الاتحاد قد ألبس هذا الثوب الجديد ، فهو بالتأكيد لا يختلف عن المشاريع السابقة، لا في الاهداف ولا النيات المعلنة. اذ ان كل

---

[40] Bouteflika sera a paris pour lancer l,union pour la mediterranee. http:wwwfrance24.com/fr/200080707-bouteflika-sera-a-parie-lancer-lunion-mediterranee

المشاريع والمبادرات دعت الى الحوار السياسي، ولكن ايا منها لم يستطع ان يرسي حلا مقبولا وعادلا لقضية الصراع العربي–الاسرائيلي وطبقا للشرعية الدولية، حتى ان المشروع الجديد قد تجاهل في اعلانه النهائي، وبموافقة الدول العربية الموقعة على البيان الى جانب إسرائيل، الاشارة الى مرجعية قرارات الامم المتحدة وضرورة الالتزام بها في التسوية السياسية، ولم يتم الاشارة حتى الى مرجعية مدريد او مبادرة السلام العربية لعام ، واكتفى بالتنويه الى ما تحقق في مؤتمر انابوليس، ومتجاهلا الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني في اقامة دولته المستقلة.

ومن هذه النقطة بالذات يلاحظ الى أي مدى تتكشف تابعية دول الجنوب العربية للقرار السياسي الاوروبي، واجبارهم على التخلي عن اهم قضاياهم المصيرية والانصياع للشروط الاوروبية–الاسرائيلية على حساب المصالح القومية العربية، ناهيك من ان التعاون الاقتصادي الذي يشكل حجر الزاوية في المشروع، سيشكل قناة مفتوحة لاسرائيل للتعامل مع الدول العربية واعترافا عملي وواقعي بها حتى من قبل الجامعة العربية، وفي حالة الرفض او تجاهل التعامل مع إسرائيل في اطار هذا المشروع فان "سوط المساعدات الاقتصادية والمالية" سيشهر" ويفتح سجل حقوق الانسان وغياب الديمقراطية امام وسائل الاعلام.

وفي الواقع، انتماء الجامعة العربية لهذا الاتحاد، لكونها الاطار القومي للنظام الاقليمي العربي، ومهما كانت التبريرات والحجج التي قدمت، فانها محاولة اسرائيلية–اوروبية ذكية لتقويض كل اسسها وتفريغها من محتواها واهدافها وهويتها القومية، وتحويلها الى الى منظمة شكلية ليس لقراراتها أي تأثير في ارض الواقع العربي المنقسم على نفسه، وتسود انظمته السياسية صراعات وتوترات حالت، في اغلب الاحيان، دون الاتفاق على الحد الادني المطلوب لصياغة الموقف العربي المشترك بصدد العديد من القضايا.

ومثلما ذهب الاوروبيون الى قمة باريس لتأسيس الاتحاد من اجل المتوسط تحت خيمة الاتحاد الاوروبي ومنسجمون في استراتيجيتهم ورؤيتهم المشتركة لمصالحهم، وبعد قرارهم الجماعي في قمة بروكسل الذي حافظ على وحدة وتماسك الاتحاد الاوروبي في التمثيل لكل الدول الاعضاء، فانه كان المفروض بالعرب ان يذهبوا الى القمة تحت خيمة جامعة الدول العربية، ومن خلال موقف عربي موحد

يعكس الارادة السياسية العربية في التفاوض وتحديد الرؤى والمصالح والاهداف السياسية العربية، لا ان تشترك كل دولة على حدة وتحضر الجامعة العربية كمستمع الامر الذي ادى الى تشتت الاصوات والمواقف واستطاعت اوروبا واسرائيل الاستفراد بكل نظام عربي على حدة واغراءه بالامتيازات وعقود التسلح ومشاريع الاستثمار والانفتاح الاقتصادي نحو السوق الاوروبية وفك طوق عزلته نظامه وتبيض صورته الديمقراطية في وسائل الاعلام الاوروبية.

ومن دون ادنى شك، ان ارتباط الدول العربية بهذ المشروع الجديد هو محاولة لانسلاخها من نظامها الاقليمي العربي المتمثل في الجامعة العربية، واجبارها على التطبيع التدريجي مع إسرائيل. واذا كانت المشاريع السابقة قد واجهت الفشل، ولم تترجم اهدافها الى وقائع ملموسة، فان ذلك يرجع الى الخلافات الأمريكية–الاوروبية. وخصوصا بين فرنسا والولايات المتحدة، فان مرحلة ساركوزي قد شهدت تقاربا وتطابقا واضحا في المواقف والسياسات الأمريكية والفرنسية خصوصا تجاه قضايا الشرق الاوسط. وطالما ان هذا المشروع الجديد سيخدم إسرائيل اكثر من اية دولة اخرى. ويعمل على تطبيع علاقاتها مع الانظمة العربية وبشكل مجاني ومن دون أي تنازلات. فانه سوف لا يواجه أي تدخل امريكي يمكن ان يؤدي الى تعطيل مساره.

وبالتأكيد، فان هذا المشروع سوف لن يكون الاخير من اجل تطويق وتحجيم الامة العربية واستنزاف ثرواتها الطبيعية والبشرية، بالشكل الذي يجعلها تدور في فلك التبعية، واجهاض مشروعها الحضاري الوحدوي باي شكل كان، وتحت أي صيغة "جديدة" تهدف الى التقسيم والتفتيت وطمس المعالم القومية من لغة وانتماء.